

## انطلاقة جديدة في باب الاستغفار



من فضل الله - عز وجل - على الإنسان أن فتح له باب الرحمة والمغفرة، وجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وحذّر ابن آدم من أن يكون ممن يؤخرن التوبة ويطول بهم الأمل حتى يرجعوا إلى الآخرة بغير عمل. بعد أن تكتمل شروط التوبة من إقلاع العبد عن المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة لها أبداً، يصبح على التائب أن يحتهد في درء الحسنة بالسيئة، ويكون ذلك باللسان والقلب والجوارح. فهو يجد في التفكير عن ذنبه بالاستغفار والتضرع إلى الله تعالى سائلاً العفو والمغفرة والاستغفار يكون بالقلب واللسان معاً وليس باللسان فقط. فالاستغفار يبعث على الأمان والسلامة ويُعمّق الشعور بالرضا لأنّه يبتني على الندم مما فات والعزّم على ترك الخطأ وإصلاح الأوضاع. فهو عملية غسل للقلب وللجوارح لتكون جاهزة لانطلاقة جديدة، بعيدة عن الألم، يقول النبي ﷺ عليه وآله وسلم: «مَنْ كَثُرَتْ هُمُومَهْ فِي الْاسْتَغْفَارِ». وعنده (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى دَائِئِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟ أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الْذَّنَوبُ وَدَوَائِكُمُ الْاسْتَغْفَارُ؟» على الإنسان أن يُعْجِلُ بالاستغفار والتوبة ولا يُؤخِّرُها متعماً داً أو متساهلاً لأنّ ذلك قد يؤدي إلى عدم قبول التوبة وردّها، قال تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةَ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِرَجَاهَا لَهُ ثُمَّ يَتُوَبُونَ مِنْهُ فَرَبِّ يَبِي فَأَوْلَئِكَ يَتُوَبُ اللَّهُمَّ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا \* وَلَيَسْتَرِ

الْتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ فَإِنَّ إِنَّمَّا تُبَدِّلُ الْآنَ وَلَا إِنَّمَّا يَمْوِلُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْنَدُهُمْ عَادَابًا أَلِيمًا (النَّساء / 18-17).

على التائب أن يوطّن نفسه على الأعمال والخصال الصالحة المكفرة للذنب، ومن هذه الخصال مسامحة الناس والعفو عن زلاتهم، قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف / 199)، وكذلك أن يضم في قلبه الخيرات للمسلمين ويعزم على التزام الطاعات والعبادات، فيشغل جوارحه بعمل الطاعات والصدقات وأنواع العبادات، ويعمد إلى بدنه فيصرف طاقته في طاعة الله وتحري الحلال. وبالجملة فعليه أن يحاسب نفسه كل يوم ويتذكر جمع سيئاته الماضية، ويجتهد في دفعها بالحسنات.

عندما تصدق توبة العبد وتنكملاً أركانها، فإنّها تثمر رحمات ومغفرة وأجرًا عظيماً من الله عزّ وجلّ. فمن ثمار التوبة تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له، قال (صلى الله عليه وآلله وسلم): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». ومن ثمارها تبدل السيئات حسنات، قال تعالى: (يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ) (الفرقان / 70)، جاء رجل هرم إلى الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم) وقال: أرأيت، رجل يعمل الذنب كلّها فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ فقال الرسول (صلى الله عليه وآلله وسلم): «فهل أسلمت؟». قال: أمّا أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وإنّك رسول الله. فقال (صلى الله عليه وآلله وسلم): «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهنّ لك خيرات كلهنّ». قال: وغدرا بي وفجرا بي؟ قال (صلى الله عليه وآلله وسلم): «نعم».

وتنتمي التوبة النصوح بـ الله سبحانه وتعالى لعبد التائب، قال تعالى: (إِنَّمَا يُحِبُّ التَّوْبَةَ ابْرَيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرَيْنَ) (البقرة / 222)، وفرح الله تعالى بتوبة عبده، إنّه أعطى التائبين ثلاثة خصال لـه أعطى خصلة منها جميع أهل السموات والأرض لنجوا بها، قال تعالى: (إِنَّمَا يُحِبُّ التَّوْبَةَ ابْرَيْنَ) فمن أحبه الله لم يعذبه و قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمَلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ) (الفرقان / 70).